

وثمة فرق كبير بين إطلاق الحكم وتقييده ، هو نفسه ذلك الفرق بين صيغة التفرد وصيغة السبق الفنى ، ولاشك أن المعارضة ستظل لصيقة بهذا السبق لأبذل ذلك التفرد .

ومن هنا يظل موضوع المعارضة فى حاجة إلى طرُق جديد ، وتناول خاص ، باعتباره مجالاً خصباً لهذا التواصل ، ونموذجاً لدعم فكرة الأصول الحتمية لحركة الأدب ، ومحاولة إحياء لذاكرة الأمة وإنعاشها من خلال إحياء تراثها عبر عصورها الأدبية المتوالية مخافة أن يضيع فى غياهب النسيان ، كما يظل الحديث عنه بمنأى عن فكرة الأخذ أو السرقات الأدبية ، فهذه مجالات أخرى يمكن أن نتأملها فى مظانها الكبرى ، كما طرحتها الدراسات النقدية التى يمكن تلمسها فى دراسات متعددة لإحسان عباس وطه ابراهيم وغنيمى هلال ومصطفى هداره وغيرهم) إلى جانب المصادر التى شغلت بهذا الاتجاه ، والتى جمعت من خلالها بعض المصادر فكرة أصحابها كما صنع حازم القرطاجنى مع السرقات الأدبية من خلال رؤيته لمقاييس الإجابة والتميز لدى الشاعر فيما أسماه بالمعانى العقم التى تظل ملكاً خاصاً لمبدعها دون أن تنخرط فى زحام القواسم المشتركة بين الشعراء .

وعلى هذا يظل موضوع المعارضة مفارقاً لكل هذه الاتجاهات مفارقتها لفكرة النقيضة الأموية القديمة ، تلك التى التزمت بشروط واضحة تعد ضرباً من المعارضة ، وتدخل فى إطارها من أوسع الأبواب ، ولكنها قد تضيق نطاقها بحكم دورانها فى إطار هجائى معين له ظروف إبداعه ، وجمهور إنشاده ، وأسواقه الأدبية الخاصة ، ومقومات فنية محددة ، ووظائف تلقى على عاتق شعرائه من قبل السياسة الأموية .. كما تظل له حدوده التاريخية التى تموت بمرور دولة بنى أمية ، ويتحول الهجاء بعدها إلى نماذج سياسة تتجاوز فكرة العصبية القلبية والأحساب والأنساب ، إلى صراعات بين العرب والعجم ، يتناولها الشاعر فى ظلال الفكر الشعوبى الذى خرج من عباءة العصر الجديد كاشفاً عن فكرة المواجهة والمناقضة التى عرفتتها الهجائية الأموية فى صورة «النقيضة» ، أو ما سبقها من نقائض مبكرة فى عصر صدر الإسلام ، أو ما بدا منها من محاولات ساذجة منذ الجاهلية .

واستكمالاً لصورة النقيضة قد نجد لها امتداداً فى محاولة لحياتها على المستوى الفردى ، على غرار ذلك النمط الذى يتردد فى القرن الثالث بين ابن المعتز ثم قيم بن المعز ، وإن اختلفت بينهما صورة المواجهة هذه على مدار فاصل زمنى يمتد إلى أربعين سنة تقريباً ،